وراديكالية) ، ان من الممكن ان تقوم وحدة بين سوريا والعراق ، عراق نوري السعيد والعرش الهاشمي ، والامبريالية الانكليزية بالنتيجة والفعل .

لقد عاشت مصر تحت نير الاستعمار الانكليزي منذ اواخر القرن التاسع عشر ، الامر الذي جعل الوعي المصري للظاهرة الاستعمارية اكثر وضوحا وعيانية ومرارة . اما الشرق العربي والاسيوي فلم يواجه الاجتياح الاستعماري المباشر الا مع الحرب العالمية الاولى وبعدها ، ومن هنا القصور المشرقي في وعي مسألة الاستعمار عن الوعي المصري لها . هذه الاشارة تلقي بعض الضوء على فهم عبد الناصر لمسألة الوحدة العربية ومسألة فلسطين . يقينا ان عبد الناصر قد تحدث مرارا عن قضية فلسطين حديثا نشعر وكأنه الجرح يتكلم ، ولكن خلفية تفكيره في مسألة الوحدة ومسألة فلسطين أعمق وأوسع وأكثر عقلانية وعصرية .

جمال عبد الناصر حسين ، حسين البوسطجي ، الذي يلاحقه ويؤرقه هاجس الاذلال الاستعماري (وهذا الهاجس ركب ماوتسي تونغ وهوشي منه ايضا) لم يكن يريد شيئا سوى ان يكون الشعب الذي ينتمي اليه بشرا فحسب . ان كلمة « ارفع رأسك يا أخي » ، التي قالها في العام ١٩٥٣ في قرية الزعفران ، تكاد تلخص كل حلمه (وحلم كل مصري وعربي) العظيم والدائم . ولقد اكتشف عبد الناصر ان المصريين ، **وحدهم** ، لا يمكن ان يتحرروا تحررا **فعليا وكاملا** في عالم العمالقة وعالم الامبريالية . هذا الاكتشاف قاده الى اكتشاف اخر هو الوحدة العربية . والوحدة العربية قادته الى اكتشاف قضية فلسطين ، الممتزجة والمشروطة بمسألة الوحدة العربية .

لم يكن للسلفية من وزن هام في نزوع عبد الناصر الوحدوي . والفكرة المحورية لديه تتلخص في ان الوحدة العربية هي أمضى سلاح في وجه الامبريالية . ولقد توصل عبد الناصر ، عبر رؤية تاريخية واستراتيجية ، الى المعادلة التالية : الوحدة العربية + البترول + المكان الجغرافي = تحرر من الهيمنة الاستعمارية وعودة الى مسرح التاريخ(٧) . ومن هنا كانت صيحة عبدالناصر التاريخية الثانية : « لقد انتهى عهد العزلة » . هذه الصيحة ، التي تدين كل قصور الرؤية الوطنية والقومية المصرية وضيق أفقها وافتقارها الى الراديكالية ، وضعته في موقع صدام دائم مع الاستعمار ، وجعلت الناصرية ، وهي حركة قومية بالاساس ، في حالة تطور الى امام ، من حيث وعيها ومن حيث تبدل وتجذر سيمائها او بالاحرى لحظاتها الطبقية .

هذه الخلفية للنظرة المصرية الى الوحدة العربية ، والمسألة الفلسطينية بالتالي ، هي التي تضفي على الموقف التكتيكي المصري ازاء اسرائيل عقلانيته الباردة او برودته العقلانية ، ولكن لهذه العقلانية (وهي عقلانية نسبية بالطبع ما دمنا متخلفين ولم نهضم ، كما هضم الصينيون ، مثلا ، العقلانية الغربية ممثلة بأعلى واعمق لحظاتها ، وأعني الماركسية ــ اللينينية) اسبابا اخرى أهمها ان الضربات الاستعمارية والاسرائيلية تكاد تكون مركزة على مصر(٨) ، وان « التراكم الثقافي » في مصر أغنى بكثير (أو بالاحرى أقل فقرا) منه في اي قطر عربي اخر ، فضلا عن رسوبات النزعة الاقليمية المصرية وما يرتبط بها وينبثق عنها من نزعات محافظة « تفضل السلامة عن طريق العزلة » على حد قول عبد الناصر .

ولكن ثمة تساؤلات ، بل شكوك ، ما زالت تثار حول مسألة الالتزام الناصري عربيا ، بسبب من موضوعة الدوائر الثلاث التي وردت في « فلسفة الثورة » .

ان هذه الموضوعة هي ، في التحليل الاخير ، جزء لا يتجزأ من نظرته الى مسألة الوحدة العربية ومسألة التحرر من النفوذ الاستعماري . فالدائرتان الاسلامية والافريقية تبدوان ، في نظر عبد الناصر ، كقوى احتياطية او صديقة للدائرة العربية في صراعها ضد